الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ١٣ مايو ٢٠٠٤

التعذيب صناعة أمريكية عريقة

التعذيب من جديد تغصّ به الأنباء بفضل تلك الصور الفظيعة التي سُرِّبت وتظهر أمريكيين طوّحت بهم نشوة الابتهاج بتعذيب أسراهم العراقيين في سجن يديره الجيش الأمريكي خارج بغداد، فراحوا يقهقهون إرواءً لغرائز جامحة. ومن الواضح أن المشهد الذي يرمي في ما يرمي إليه إلى رفع الروح المعنوية الأمريكية الهابطة، يحتاج إلى أسلاك كهربائية، وأبدان جُرِّدت من ملابسها، وكدّست فوق بعضها بعضا لتحاكي عربدة ومجون الرومان أيام زمان. فهناك الأطفال الذين شوّهتهم القنابل العنقودية، وهناك التعذيب الذي هو ليس بالأمر الجديد.

لقد كان من أشد البقع قتامة في التاريخ الامبريالي الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية تورّط وكالة الـ «سي.آي.إيه» في قضايا التعذيب، إذ لم تألُ جهداً في التدريب عليه وممارسته ولعب دور المقاول المتعهد لعملياته. ومنذ أن أبصرت الـ «سي.آي.إيه» النور، ارتكست في ظلمة التعذيب فانكبّت عليه تدرسه بجدّ واجتهاد، وتتلمذت على تقنيات النازي، وحرصت على أن تنهل من خبراته. وبسطت حمايتها على أقطاب جهابذته من أمثال كلاوس باربي. والموقف الرسمي لـ «سي.آي.إيه» يعلن أن التعذيب ممارسة خاطئة وغير مجدية ولا فعّالة. والتعذيب خطأ حقاً، إلا أنه في ما يُحصى من المناسبات كان فعالاً بصورة مرعبة. هل تذكرون دان متريون الذي

الكسندر كوكبيرن

منذ أن أبصرت الـ «سي.آي.إيه» النور، ارتكست في ظلمة التعذيب فانكبّت عليه تدرسه بجدّ واجتهاد، وتتلمذت على تقنيات النازي، وحرصت على أن تنهل من خبراته

اختطفه وقتله التوباماروس في الأرجواي وصوّره إيف مونتان في فيلم كوستا جافراس «حالة حصار»؟

في أواخر ستينات القرن العشرين عمل متريون لحساب مكتب الولايات المتحدة للسلامة العامة، وهو جزء من الوكالة للتطوير الدولي، وفي البرازيل روى ا. ج لانجوث (وهو رئيس سابق لمكتب النيويورك تايمز في سايجون) في كتابه «الرعب الخفي» أن متريون كان من بين مستشاري الولايات المتحدة الذين علّموا الشرطة البرازيلية كم عدد وقوة الصدمات الكهربائية التي ينبغي ان تطبق على السجناء دون ان تقتلهم.

وحسب قول الرئيس السابق لاستخبارات الشرطة، فإن متريون ساعد في الأرجواي على تطوير التعذيب ليبلغ مستوى «الاحتراف» وإدراجه باعتباره إجراء روتينياً، كما قدم مشورته بخصوص التقنيات السيكولوجية، مثل تشغيل أشرطة صوتية لنساء وأطفال يصرخون للإيحاء للسجين بأن عائلته تخضع للتعذيب.

وفي الأشهر التي تلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول على مركز التجارة العالمي وعلى البنتاجون راح أساطين كتّاب الأعمدة الصحافية مثل جوناثان التر من «النيوزويك» يمجّدون «عقاقير الحقيقة» ويرحّبون باستخدامها في الحرب على «القاعدة». وشارك سلاح البحرية الأمريكية في التحمُّس لهذه النزعة بعد الحرب على هتلر، عندما أفلح ضباط استخباراته في اقتفاء أثر بحث د. كورت بلوتنر عن «أمصال الحقيقة» في سجن داخاو. وكان بلوتنر يحقن السجناء، وبخاصة الروس، بجرعات عالية من الميسكالين (عقار الهلوسة) ثمّ يركز على مراقبة سلوكهم الذي عبّروا من خلاله عن كراهيتهم لحرّاسهم وأدلوا بإفادات اعتراف حول تركيبة كيانهم النفسي.

وكجزء من مشروعها الأوسع «إم.كي - الترا» منحت الـ «سي.آي.إيه» المال للدكتور اوين كاميرون في جامعة مكجيل. وكان كاميرون رائداً في أساليب وتقنيات الحرمان

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الحسي المعطلة للحواس. وقد حبس كاميرون مرّة امرأة في صندوق أبيض صغير أوصده عليها خمساً وثلاثين يوماً حارماً إيّاها من الضوء والرائحة والصوت. وذُهل أطباء الـ «سي.آي.إيه» من هذه الجرعة، وهم أدرى الناس بما نجم عن تجاربهم في حجيرة الحرمان من الحس عام 1955، من ردود أفعال سيكولوجية شديدة في أقل من أربعين ساعة. ابدأ بالتعذيب! وحسبك هذا، إذ سوف يجرفك التيار فتوغل في متاهاته. فالتعذيب يدمّر ضحاياه المعذبين ويفتح الأبواب على مصاريعها على الفساد لينخر نسيج المجتمع الذي يتبناه. وتماماً كما حدث مع الـ «إف.بي.آي» بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أصيبت الـ «سي.آي.إيه» بالإحباط عام 1968 حيال عدم قدرتها على كسر نفسية الزعماء المشتبه فيهم في جبهة التحرير الوطني الفيتنامية عن طريق استخدام الأساليب المعتادة في الاستجواب والتعذيب. لذا بدأت الوكالة بتجارب أكثر تطوراً، خدّرت في إحداها ثلاثة سجناء وفتحت جماجمهم وزرعت في أدمغتهم أقطاباً كهربائية (الكترودات)، وجرى إيقاظهم من التخدير بعدها، ووضعوا في غرفة، وأعطوا سكاكين. ومن ثمّ قام خبراء السيكولوجيا في الـ «سي.آي.إيه» بتحريض الأقطاب الكهربائية وتنشيطها بصورة متزايدة على أمل أن يهاجم السجناء بعضهم بعضاً. إلا أنهم لم يفعلوا، فأزيلت الأقطاب ثم أطلق عليهم الرصاص وأحرقت جثثهم. ويمكنكم أن تقرأوا عن تلك القصة في كتاب جوردون توماس «رحلة إلى قلب الجنون».

وفي السنوات الأخيرة اتهمت الولايات المتحدة من قِبل الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان مثل «مراقبة حقوق الإنسان» و«العفو الدولية» بأنها تغضّ الطرف عن استخدام التعذيب في السجون الأمريكية بطرق وأساليب تتراوح ما بين السجن الانفرادي في زنازين خرسانية لمدة 23 ساعة يومياً ولسنوات لا نهاية لها، إلى تحريض صدمات كهربائية بقوة 50 ألف فولت بوساطة حزام قسري يُكره السجناء على ارتدائه.

والتعذيب، كمسألة عملية، راسخ الأركان في غرف الاستجواب في أوساط القائمين على تطبيق القانون في الولايات المتحدة. ومن بين الأمثلة على ذلك حشو شرطي لعصا في دبر انبر لويما مؤخراً، ولعل من أبشع افتضاحات التعذيب المنتظم الذي تعتمده أقسام الشرطة في السنوات الأخيرة في الولايات المتحدة الكشف عن أن رجال الشرطة في شيكاجو في أوساط السبعينات إلى أوائل الثمانينات دأبوا على استخدام الصدمات الكهربائية والحرمان من الأكسجين والشبح والتعليق بالخطافات، والفلقة، والضرب بالعصا والضرب على الأعضاء التناسلية. وكان جلاوزة التعذيب من البيض وضحاياهم من السود أو الملوّنين. وفي سجن «بليكان باي ستيت» في كاليفورنيا، ألقي بسجين في مرجل ماء يغلي وهو حي. ويتلقى سجناء آخرون صدمات كهربائية بقوة 50 ألف فولت من بنادق الصعق. ولدى كثير من الولايات ما يُدعى بـ «وحدات الإسكان الآمنة»، حيث يُحبس السجناء في زنازين انفرادية صغيرة من الخرسانة على مدى سنوات لا يُحصى عددها، ويفقد كثير منهم عقلهم خلالها.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وشجبت منظمة العفو الدولية قوات الشرطة الأمريكية لاستخدامها «لنمط من استعمال القوة المفرطة والمنفلتة التي تبلغ مستوى التعذيب».

وفي عام 2000 وجهت الأمم المتحدة توبيخاً علنياً شديد اللهجة، إلى الولايات المتحدة لسجل تقصيرها في منع التعذيب والعقوبات المذلّة. وسلّطت هيئة مكوّنة من عشرة خبراء على ما قالت إنه انتهاكات واشنطن للاتفاقية التي صادقت عليها الولايات المتحدة في عام 1994.

ودعت لجنة الأمم المتحدة لمكافحة التعذيب التي تراقب التزام دول العالم باتفاقية الأمم المتحدة ضد التعذيب إلى تحريم وإلغاء أحزمة التدويخ بالصعقات الكهربائية (يُستخدم ألف منها في الولايات المتحدة)، وكراسي شلّ الحركة، كما دعت لإنهاء حبس الأطفال القصّر في سجون الكبار. وقالت اللجنة إن «الإناث المعتقلات غالباً ما يُحبسن في ظروف مهينة»، وأعربت عن قلقها تجاه حالات من الاعتداء الجنسي ارتكبها رجال وضباط شرطة في السجون الأمريكية. وانتقدت اللجنة النظام القاسي بصورة مفرطة في السجون الأمنية المشدّدة، واستخدام مجموعات على شكل عصابات وزمر يقوم فيها السجناء بأعمال يدوية وهم مقيّدون بالأصفاد والسلاسل إلى بعضهم بعضاً. وانتقدت عدد الحالات التي أظهرت فيها الشرطة وحشية بالغة تجاه أقليات عنصرية.

وحتى الآن، وفي ما يتعلق بالاغتصاب، وبسبب مصانع الاغتصاب، الأشهر من الناحية التقليدية في نظام السجون الأمريكية، فإن عدد من يُغتصب من الرجال ضعفي عدد من يُغتصب من النساء كل عام في الولايات المتحدة.

واستشهد تقرير لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان صدر في ابريل/ نيسان 2001 بدراسة قامت بها مجلة السجون واستندت إلى بحث ميداني مسحي لنزلاء سبعة من سجون الرجال موزعة على أربع ولايات. وأظهرت النتائج أن 21٪ من النزلاء قد تعرَّضوا لواقعة واحدة على الأقل من الاتصال الجنسي بالإجبار أو تحت الضغط منذ اعتقالهم، وأن 7٪ على الأقل قد جرى اغتصابهم في سجونهم. وخرجت دراسة أخرى أجريت عام 1996 وتناولت نظام سجون نبراسكا بنتائج مشابهة، إذ سجل 22٪ من نزلاء السجون الذكور أنهم قد أكرهوا على أن تُفعل بهم الفاحشة أو ضُغط عليهم لإخضاعهم لاتصال جنسي رغماً عنهم خلال فترة حبسهم.

ومن بين هؤلاء رضخ أكثر من 50٪ لعملية اغتصاب جنسي مرّة واحدة على الأقل. واستقراء نتائج هذه الدراسات على المستوى الوطني يضعنا أمام عدد إجمالي يُقدَّر بنحو 140 ألف نزيل سجون تعرَّضوا للاغتصاب.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية